الفَصْلُ الثَّاني

خُطَبٌ دِينيَّةٌ

١ ـ مَوعظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزِيز

العقد ٤ : ٩٢

وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٥٠

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الناسَ وَوَعظهم، فقالَ:

«إنّ لكل سَفْر زاداً لا محالة، فتزوَّدُوا مِن دُنياكم لآخرتكم التَّقْوى، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ الله له من ثَوابه وعقابه، فترْهبوا وترْغَبوا، ولا يَطولَنَّ عليكم الأمد فَتَقْسُو قلوبُكم، وتَنْقادوا لعدوّكُم، فإنه والله ما بُسِط أملُ مَنْ لا يدري لعلّه لا يُصبح بعد إمسائه، أو يُمسي بعد إصباحه، وربما كانت بين ذلك خَطرات المَنايا[1]، وإنما يَطْمئن إلى الدُّنيا مَن أَمِن عواقبها، فإنّ من يداوي من الدنيا كَلْماً أصابت جِراحةً من ناحية أُخرى، فكيف يَطْمئنُّ إليها، أعوذ بالله أَنْ آمُرَكم بما أَنْهى عنه نَفْسي فَتَخْسَر صَفْقتي[2]، وتَظْهَر عَيْلَتي[3]، وتبدو مَسْكَنتي، في يوم لا يَنْفع فيه إلا الحقُّ والصِّدق».

٢ ـ مَوعِظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزِيز

تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٧٢

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٢٠٥

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، فقالَ:

---

(١) خطرات المنايا: من خَطَر الفحلُ بذنبه عند الصيال: أي حرَّكه كأنه يتهدد، أو من خطر الرجل برمحه: إذا مشى بين الصَّفين كما يَخْطِرُ الفحل.

(٢) الصَّفْقَةُ: البيعة.

(٣) العيلة: الفاقة والفقر والحاجة.

«مَنْ وَصَلَ أخاه بنصيحةٍ له في دينِهِ، ونظرَ له في صلاحِ دنياه، فقد أحسنَ صِلَته، وأدَّى واجبَ حَقِّهِ، فاتَّقُوا الله، فإنها نصيحةٌ لكم في دينكم، فاقبلوها، وموعظةٌ مُنْجِيَة في العواقبِ، فالزَموها، الرزقُ مقسومٌ، فلن يعدُو[١] المؤمنَ ما قُسِم له، فأَجْمِلوا في الطَّلَبِ، فإن في القُنوع[٢] سَعَةً وبُلْغةٍ، وكفَافاً، إنَّ أجلَ الدنيا في أعْنَاقِكم، وَجَهَّنم أمامكم، وما تَرَونَ ذاهبٌ، وما مضَى فكأنْ لم يكنْ، وكلٌّ أمواتٌ عن قريبٍ، وقد رأيتم حالاتِ الميت وهو يَسُوق[٣]، وبعدَ فراغه وقد ذاق الموت، والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمهُ الله، وعاينتُمْ تَعْجِيلَ إخراجه، وقِسْمةَ تُرَاثه، وَوَجْهُهُ مفقود، وذِكْرُهُ مَنسيٌّ، وبابُهُ مهجورٌ، كأن لم يخالِط إخوانَ الحِفَاظ[٤]، ولم يَعْمُرِ الديارِ، فاتَّقُوا هَول يومٍ لا يُحقر فيه مثقالُ ذرة في الموازينِ».

٣ ـ مَوعظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ

الكامل للمبرد ٤ : ١٠٨

قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ في خُطْبةٍ له:

«أيُّها الناسُ، إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ[٥]، وأَجَلٌ مُنْتَقَص[٦]، وبَلاَغٌ إلى دارٍ غيرِها، وسيرٌ إلى الموتِ ليس فيه تعْريجٌ، فرَحِمَ الله امْرَءاً فكَّرَ في أَمرِه، ونَصَحَ لنفسِه، وراقَبَ ربَّه، واستقالَ ذَنْبَه[٧]، ونَوَّرَ قَلْبه! أيها الناسُ، قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخْرِجَ من الجنة بذنبٍ واحدٍ، وأنَّ رَبَّكم وَعَدَ على التوبة، فلَيَكُنْ أَحدُكم من ذنبه على وَجَلٍ، ومن ربه على أَمَل».

---

(١) يعدو: يتجاوز.

(٢) القُنُوع: الرِّضا بما قُسِم.

(٣) يَسُوقُ بنفسه: ينزع بها عند الموت.

(٤) الحفاظ: أي المحافظة على وده.

(٥) مُخْتَرَمٌ: مُنْقَطِعٌ.

(٦) مُنْتَقَص: غير مكتمل.

(٧) استقالَ ذَنْبَهُ: طلب الصَّفْحَ عنه.

٤ ـ مَوعِظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزِيز

الكامل للمبرد ٤ : ١٩

والتعازي والمراثي ص : ٤٦

خَطَب عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ النَّاسَ لمَّا ماتَ ابْنُهُ عبدُ الملكِ، فقال:

«الحمدُ للهِ الذي جَعَل الموتَ حَتْماً وَاجباً على عباده، فسوَّى فيه بين ضعيفِهم وقويِّهم، ورَفيعِهم ودَنِيِّهم، فقال عَزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١]، فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النّهى[٢] منهم أنهم صائرونَ إلى قُبورِهم، مُفْرَدون بأعمالهم. واعلمُوا أنَّ للهِ مسألة فاحصة[٣]: قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]».

٥ ـ مَوعِظةٌ لِعُمرَ بنِ عبدِ العَزِيز

التعازي والمراثي ص : ٤٧

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ النَّاسَ بعدَ وَفاةِ ابنهِ عبدِ الملكِ، فقال:

«إنَّ الله، جلَّ ذكرُهُ، لم يجعلْ لمُسيءٍ ولا لِمُحْسنٍ خُلوداً في الدنيا، ولم يَرضَ بما أعجَبَ أهلها ثواباً لأهلِ طاعتِهِ، ولا بِبَلائها عقوبةً لأهلِ مَعْصيتِهِ، فكلُّ ما فيها من محبوبٍ متروكٌ، وكلُّ ما فيها من مكروهٍ مُضمَحلٌّ، كتَبَ على أهلها الفناء، وأخبرَ أنه يرثُ الأرضَ وَمنْ عليها. فاتّقوا الله، واعملوا ليومٍ ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٥]».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) النهى: جمع نهية، وهي العقل.

(٣) فاحصة: تكشف عن الأسرار.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٢ ـ ٩٣.

(٥) سورة لقمان: الآية ٣٣.

٦ ـ مَوعِظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزِيز

أنساب الأشراف ٨ : ١٥١

واللسان : عرق

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، فقالَ :

«أيُّها الناسُ، أصْلِحُوا من سَرائِركم[١] تَصْلُحْ عَلانِيتُكم، واعْمَلُوا لآخِرَتِكم تُكْفَوْا أمرَ دُنْياكم، فإنَّ امرءاً ليسَ بَيْنَهُ وبينَ آدمَ أَبٌ حيٌّ لَمُعْرَقٌ[٢] له في الموتِ».

٧ ـ مَوعِظةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزِيز

تاريخ الرسل والملوك ٦ : ٥٧٠

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص : ٤١

والبيان والتبيين ٢ : ٩٨

وعيون الأخبار ٢ : ٢٤٦

والعقد ٤ : ٩٥

والأغاني ٩ : ٢٦٧

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص : ٢٢٢

وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٥٠

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الناسَ بخُناصرة من عَمَل حَلب خطبةً لم يخطبْ بعدَها حتى مات، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال :

«أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عَبثاً ولن تُتركوا سُدى[٣]، وإن لكم معاداً[٤] يَنْزِلُ اللهُ فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم، وقد خاب وخسر مَنْ خرجَ من رحمة الله

---

(١) السَّرائرُ : جَمْعُ سَريرةٍ، وهي ما تَكْتُمُهُ وتُخْفِيه، أو الشيء الذي تَعْمَلُهُ في الخَفاء.

(٢) قال ابن منظور : في حديث عمر بن عبد العزيز : «إنَّ امرءاً ليس بينَهُ وبينَ آدمَ أبٌ حَيٌّ لَمُعْرَقٌ له في المَوْتِ»، أي إنَّ له فيه عِرْقاً، أي أصْلاً، وإنه أصيلٌ في الموت.

(اللسان : عرق).

(٣) السُّدَى : المُهْمَلُ.

(٤) المعاد : المصير والمرجع والآخرة.

التي وسِعت كلّ شيء، وحُرِم الجنة التي عرضُها السمواتُ والأرضُ. ألا واعلمُوا أنما الأمان غداً لمن حذِر الله وخافه، وباع نافداً[١] بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان، ألا ترون أنكم في أسلاب[٢] الهالكين، وسيُخَلِّفُها بعدكم الباقون كذلك حتى تردّ إلى خير الوارثين! وفي كلّ يوم تشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه[٣]، وانقضى أجله، فتغيّبونه في صَدْع[٤] من الأرض، ثمّ تدَعونه غير موسَّد ولا ممهَّد، قد فارق الأحبّة، وخلع الأسلاب[٥]، فسكن التراب وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، فقير إلى ما قدَّم، غنيٌّ عمّا ترك. فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه، وايم الله إني لأقولُ لكم هذه المقالة، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثر مما عندي؛ فأستغفر الله وأتوبُ إليه. وما منكم من أحدٍ تبلغنا عنه حاجةٌ إلا أحببتُ أن أسدَّ من حاجته ما قدرتُ عليه، وما منكم أحدٌ يسعه ما عندنا إلا وددتُ أنه سَدَاي[٦] ولحمتي[٧]، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء. وايم الله أن لو أردت غير هذا من الغَضارة[٨] والعيش؛ لكان اللسانُ مني به ذَلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتابٌ ناطق وسنّةٌ عادلة، يدلّ فيها على طاعته، وينهى عن معصيته».

---

(١) النافد: الفاني.

(٢) الأسلاب: جمع سَلَب، وهو ما يأخذه أحد القِرْنَيْنِ في الحرب من قِرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاحٍ ودابةٍ.

(٣) النحب: الأجل.

(٤) الصدع: الشق.

(٥) الأسلاب: جمع سَلَب، وهو ههنا كل شيءٍ على الإنسان من اللباس.

(٦) السَّدَى: أسفل الثوب وما مُدَّ من خيوطه، والمراد الأصل.

(٧) اللحمة: أعلى الثوب، والمراد القرابة.

(٨) الغضارة: النعمة والسَّعة.